الباب الأول

نبذة عن حياة مصطفى لطفي المنفلوطي

قدمة الكاتبة في هذا الباب عن مصطفى للطفي المنفلوطـــي الذي لابد على القارئ مراعة ترجمة حياته. و أخذت الكاتبة ذها العنوان كله الذي يتعلق بموضوع الرسالة.

وأما ما يشتمل على ترجمة حياته التي قدمة الكتابة:

١. مولد مصطفى لطفي المنفلطفي و نسبه و نشأته

٢. صفاته وأخلاقه وعادته

٣. مؤلفاته ومترجمته

وكل فصل من الفصول المذكورة سيبحث فيما يأتي:

الفصل الأول

مولد مصطفى لطفي المنفلوطي ونسبه ونشأته

هو مصطفى بن محمد بن محمد ين حسن بن محمد بن لطفي. لأب عربي يتصل نسبه بالحسين والأم تركية القرابة إلى أسرة الجورجي. ولد في مدينة منفلط في إحدى المنطقة من ولاية الاسيوط في صعيد مصر سنة ١٢٩٣ هـ : ٣-١٢-١٨٧٦م. نشأ المنفلوطي في بيت غنية عن علوم الدينية، ولتلك البيت نقابة الأشراف ومرتبة القضاء بتوارثها بنت أبيه منذ مائتي سنة.[٥] واشتهار ه بالمنفلوطي ترجع إلى صلته بوطنه الصغير، واما لقبه بالسيد فيرجع إلى أن ذلك شائع لدى من يتوارثون الصلة بعشرة الحسين و يتناولون نقابة الأشراف.[٦]

كانت مصر في ذلك الوقت الذي نشأ فيه المنفلوطي تقع تحت مسيطرة انجلترا. فينتشر فيها الاستغلال القومي والثورة

٥- مقدمة النظرات جـ ١ ط سنة ١٩١٠، ص ٩

٦- مصطفى لطفي المنفلوطي حياته و أدبه، ص ١٠

الوطنية، و كان المنفلوطي لا يحب أن يوقع نفسه فيميدان السياسة مباشرة، لكنه يستخدم نفسه لبلاده بطريقة الكتابة عن الإنسانية و الإجتماعية، فيرتجم"في سبيل التاج" و هي الرواية القومية المتأثرة بأعمق التأثير وتلتهب روح الجهاد في صدر الشبان.[٧]

وهنا الاستعمار تختلط مصر بالغرب فينتاج انتاجا من جميع نواحي الحياة خاصة من الناحية الثقافية والأدبية.

خرج منفلوطي من بيت العلم والقضاء ليشرف بالانتساب للأزهر أولا ثم ليتتلمذ على الإمام "محمد عبده". ثانيا ثم ليصحب سعداء الثائر ثالثا.

وقد مكث المنفلوطي في حضن أسرته "وتلقى دروسه الأولى في مكتب الشيخ جلال الدين السيوطي الذي كان يديره الشيخ محمد رضوان أحد الفقهاء الذين كان لهم الفضل في تربية كثير من أدباء أسيوط وعلمائها". وكان يتردد على منزل أبيه صديق يدعى الأستاذ عبد الله هاشم، وكان على أدب جم

٧- A.S. Alatas, Maghdalena, hal XXV

ونزعة شعرية حببت إلى منفلوطي في صباه الأدب العربي. ولذا أحب استظهار القصائد وقراءة كتب الأدب، وأكب المنفلوطي على حفظ القرآن الكريم، ويقال إنه حفظ القرآن من المرة الأولى دون إعادته مرة أو مرتين كما يفعل كثير من الحفظة. وكانت سنة قد بلغت الحادية عشر من عمره فبعث به إلى الأزهر ليتهج نهج ابائه في الثقافة، فمكث فيه عشر سنوات يدرس علوم الدين واللغة[8]، ولكن الفتى اليافع وجد نفسه عزوفا على طريقة الدراسة بالأزهر، فلم تكن أساليب الكتب التي يطالعها ترضي حسه و ذوقه.

ويعلل الأستاذ الزياد لهذا الاتجاه من المنفلوطي بقوله[9]: "إن للأدباء من أبناء الفقهاء نبوة في بعض الحالات على إرادة الوراثة و النشأة فهم يصرفون في منتصف الريق عن دروس الفقه والأصول والعقائد أما لأن أذواقهم الأدبية الموهمة لا تسبغ أساليب كتبها المعقدة و إما لأن طباعهم المدينة الحرة لا تطيق

٨- النظرات، ص ٥ سنة ١٩١٠

٩- مصطفى لطفي المنفلوطي حياته و أدبه، ص ١٧

الحياة الدينية المعقدة، فكان السيد مصطفى على الكره من ورعقلبه، ورعاية أبيه لا يلقي باله كثيرا لغير علوم اللسان و فنون الأدب. فهو يحفظ الأشعار و يتصيد الشوارد و يصوغ القرض و ينشئ الرسائل وتسير له شهرة في الأزهريين بذكاء القريحة و روعة الأسلوب.

وكان منفلوطي يعيش حياة طيبة كريمة، فهو لم يحس بؤس الفاقة كما ظن ذلك بعض من تعرضوا للكتابة عنه لأن والده كان يقبض راتب القضاء الشرعي ولديه إلى جانبه دخول أخرى تتوارثها الأسرة العريقة التي يقول الأستاذ أحمد حافظ في وصفها: «أسرته لأبيه في منفلوطي مشهورة بالشرف والتقوى والعلم والفضل و والده السيد محمد لطفي قاضي منفلوط الشرعي اليوم وعين أعيانها.»[١٠]

وأخيرا قد عرفنا أن منفلوطي بن محمد بن محمد بن حسن بن محمد بن لطفي ولد في منفلط سنة ١٨٧٦ م، في بيت العلم

١٠- مقدمة النظرات، ص ٩، ط سنة ١٩١٠

والقضاء والريادة الصوفية، ومات في صبح السبت ١٢ يوليـــــو سنة ١٩٢٤.

الفصل الثاني

صفاته وأخلاقه وعادته

سوف نحاول و نحن بسبيل الكشف عنها و التعريف بها أن نهتم بصفاته النفسية لأنها أهم ما يعني البحث الأدبي و من ثم قد نهتم ببعض الأخبار والحوادث التي تبدو هينة أو يسيرة مادامت قوية الدلالة على نفس صاحبه ومزاجه. وسوف نعتمد كذلك على ما توفر لنا من رؤية باطنه النفسي أثناء درايتنا لأدبه لأن نتاج الأديب كثيرا ما يكون صدى نفسه و لونها الماثل و مادتها البارزة.

و في بدء الحديث هنا يهمنا أن نستمع إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات يصف لنا المنفلوطي عن قرب و صلة بينهما يقول:[11] "كان المنفلوطي مربوع الخلق ممتلئ البدن غليظ الشارب حسن السمت لا تلحظ على وجهه المطهم المصقول مخيل القذال ولا سهوم المفكر ثم تحسبه وهو يحدثك حديثه

---

[11]- مصطفى لطفي المنفلوطي، حياته وآدابه، ص ٤٩

المقتضب الخافض سريا من عامة السراة في الصعيد. لا حظ لـــه من بلاغة اللسان ولا رياضة القلم ثم داخلته فتكشف لي مـــن ألمعية أصيلة تستتر عادة بين الحياء و الحشمة، و وثق الود بيني و بينه، توافق المزاج المنقبض و الطبع الحـــي والوجـــود المنعـــزل فدرسته على ضوء ما أعلم من نفس فلم أجاوز الحق في تصويره و تقديره.

وكان المنفلوطي قطعة موسيقية في ظاهره و باطنـــه فـــهو مؤتلف الخلق متلائم الذوق متناسق الفكر، متسق الأســـلوب. كان صحيح الفهم في بطء، سليم الفكر في جهد، دقيق الحـــس في سكون، هبوب اللسان في تحفظ. وفرط الشـــعور المرهـــف بكرامة النفس ولكنك إذا جلست إليه رأسا إلى رأس، تسرح في كلامه و تبارى لسانه وخاطره في النقـــد الصريـــح و الـــرأي الناضج، واهوى بين أسرته و وطنيته و إنسانيته، فإذا انتقلنـــا إلى صديق آخر للمنفلوطي هو الأستاذ طاهر طنا حى ليصفه لنـــا قرب نجده يقول: "كان السيد المنفلوطي متواضعا: رقيق الحاشية هادئ الطبع لا كما يلمحه القارئ بين سطور كتبه من الأسى و

التوجع الذي يدل على ما يصاحبه من التشاؤم و عصبية الطبع الحاد.

ذلك هو المنفلوطي كما يصفه أصدقاؤه و معاصروه، فإذا ذهبنا إلى أدبه و أخباره نطلب منهما التعرف على الرجل، وجدناه من حيث الصفات النفسية يتميز بخطين واضحين:[١٢]

أما أولهما: فرقه شعوره و حساسيته فقد كان رحمه الله رقيق الحس جياش العاطفة، عميق الشعور بالتأثيرات الصعبة القاسية للحياة من حوله على الناس جميعا، و من ثم استطاع أن يلتقط الصور الأليمة التي تقع في المجتمع، و أن يتناولها في أبعادها و صورها المختلفة. ولذا اشتهر ببكائه من أجل البائسين و المحرومين و المحزونين و ذويا لآلام فهو إنساني النزعة إلى حد بعيد و قد وضحت لنا في بعض الموقف نوعته الإنسانية العامة حيث يأسى من أجل شقاء المجتمعات بالحرب، و يدعو للسلام ويعتز بالصلة الإنسانية بين بني البشر جميعا.

١٢- مصطفى لطفي المنفلوطي حياته و أدبه، ص ٥٢

و أما ثانيهما، فنزعته الأخلاقية المثالية التي تتمثل في حرصه الدائم على التبصير بالحق و الخير و الفضيلة في مقالاته، و قصصه على السواء. فكل الموضوعات التي تستبد بوجدانه و التي تصدى للدفاع عنها تجعل القارئ لها فضلا عن الدارس، يرى الرجل وقد اجتمعت لشخصيته أرقى العواطف المعنوية في الإنسان وهي محبة الحق و الجمال.

ونستطيع أن نلتقي بآثار هذه المثالية الأخلاقية في سلوكه مع الآخرين. لقد لقي هذا الرجل في حياته الخاصة كثيرا من غدر أصدقائه و عشرائه الذين أوقعه في شرك صداقتهم طهارة قلبه وبياض سريرته، والذين طالما أحسن إليهم وكانت له اليد الطولى عليهم فما حفل بذلك لابالى به بل كانت كلمته الوحيدة التي كان يقولها حينما تذهب إليه تلك العقارب: "إن الله وحده هو الذي يستطيع أن يغير طبيعة الإنسان.

الفصل الثالث

مؤلفته و مترجماته

يرى المنفلوطي أن خير ما ينتفع به الأديب من أدبه أن يترك يوم وداعه هذه الدنيا صفحة يقرأ فيها الناظرون في تاريخه من بعده صورة نفسه و مضطرب آماله و مسرح آلامه.

أحقق المنفلوطي رأيه هذا بشواهد ايجابية مقبولة و برهن بحجج بالغة دامغة، والجواب نعم دون لا، لأنه قد أودع خلفه يوم وداعه هذه الدنيا و أول لقائه بالآخرة كثيرا من المؤلفات و المخترعات ذوات قيم عالية وأغرض سامية.

وهذا موجز بيان لما خلفه المنفلوطي:

١ – النظرات[١٣]

أودع المنفلوطي كثيرا من نظريته في الحياة، و هي ألفت في سنة ١٩١٠ – ١٩٢٠، على ثلاثة أجزاء انضمت تحتها ١٢١ (مائة وواحدة وعشرون) مقالة، أولها الغد و آخرها

١٣– مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات سنة ١٩١٠

الاربعون. وهذا الكتاب لاكما هو معلوم ولكن كان فصل ليس له اتصال بالمتقدم، و جميع الاغراض قدمت نقائص و خطآن في المجتمع و المعاشرة بين الأغنياء و الفقراء أو البؤساء في حياتهم الاجتماعية، و على كل حال لاصلاح المجتمع و تهذيبه.

٢ – العبرات[١٤]

و أما العبرات فقد جمع فيها المنفلوطي أقاصيص مستمد من الأشقياء و البائسين، و هذا الكتاب يحتوى ٩ (تسع) أقاصيص بعضها وضعه من نفسه و الآخر ترجمة من صاحبه، أولها اليتيم و آخرها التضحية، وكل قصة تدور حول بؤس البؤساء وخطآن المجتمع، و المقصود كما قصد به النظرات وهو لا صلاح المجتمع وتهذيبه.

٣ – مختارات المنفلوطي[١٥]

للمنفلوطي مختارات كثيرة جعل أساس اختيارها جمال الأسلوب أولا، وجمال المعنى ثانيا، ولم يختلا بحال ما كان معناه

---

[١٤] – A.S. Alatas, Maghdalena Terjemahan Majdulin Al-Manfaluthi, Hal XXVIII

[١٥] – نفس المرجع، ص XXIX

ساميا و نظمه فاسدا، و قسمها المنفلوطي قسمين، أولها بـــاب الفصاحة و البيان، أورد فيه ما قل من الشعر في صف الفصاحـــة والبيان.

و أما ثانيها يحتوى الأدب والحكمة بنظمها الكاتب نظمـــا شعريا يتحدث فيه عن فصائل نفسية اجتماعية.

٤ – الفضيلة[١٦]

وهذا الكتاب يحتوى ١٥٦(مائة وست و خمسين)صفحـــة ومن تسعة و عشرين فصلا، وهي ترجمة لقصـــة Paul et Virginie (بول و فرجيني) تأليف Bernardin de sainpier (يرناردين دي ساين بير)* و قد نقلت هذه القصة من قبل مرتين، المرة الأولى انتـــون اللبنان، و الأخر لمحمد عثمان جلال المصر، الا أن أسلوب هتـين الترجمتين لم يكن عذبا سائغا بليغا، فلذا ماتت ترجمتها بعـــد أن ولدت، ثم ترجمها المنفلوطي بأسلوب عذب خـــلاب لا يتقيـــد بالأصل و لا يخرج منه، بعنوان الفضيلة، و القصة تدور حـــول

١٦- نفس المرجع، ص XXIX

*من الأدباء المشهورين بفرنسا في القرن الثامن عشر

حياة أرملة ظاهرة شريفة فاضلة بسعيدة عن أكـــاذيب المدينـــة ومشاغلها. ولكن حياتها منتقمة بالبؤس بشدة حبها لا بنتها التي غرقت في السفينة "سان جيران" واسمها فرجيني التي خطبها بـول وبموتها حزن جميع الأقرباء من أسرة فرجيني و أسرة بـــول، ثم ملت واحدا في شهر واحد، انتهت بسبب حزنهم.

٥ – في سبيل التاج[١٧]

وهي قصة للكاتب الفرنسي Francois Coppe (فرانسوا كوبيه) و تدور حوادث القصة حول حرب شعوب البلقـــان للأتـــراك شعبا وراء حريتهم واستقلالهم. وهؤلاء المستعمرون يريـدون أن يحطموا الروح الوطنية في تلك الشـــعوب، و يســـتمروا علـــى استعبادهم. والخلاصة التدوير القصة حـــول بـــؤس البؤســـاء باحتلال غزاة تفاتحينا لأتراك على شعوب البلقان.

٦ – الشاعر[١٨]

---

[١٧]- A.S. Alatas, Maghdalena Terjemahan Majdulin Al Manfaluthi. Hal XXIX

[١٨]- نفس المرجع، ص XXIX

و هذا متوسط الحجم أيضا، وهذا أصله للكاتب الفرنسي Edmon Rostan (أدمون روستان) بالغة الفرنسية، والقصة تدور بين الشاعر اسمه سيرانو وهو ذكى سجاع قبيح الوجه وهو يحب روكسان فتاة متعلمة ذكية مولعة بالشعر و الآداب ولكنها تحب الصناعة اللفظية، وسيرانو أحبها حبا لا مثيل له في تاريخ الحب، ولكن روكسان لا تعلم حبه وأحبت غيره وهو نبيل وفد إلى باريس ليلتحق بفرقه الحرس من الفرنسي وهي الفرقة التي يعلم فيها سيرانو، فلما التقى بروكسان فأحبها ثم طلب من سيرانو العون بكتابة الرسالة الفصيحة حين لم ترض روكسان لضعف بيانه، ولكنه مقتول في المعركة الحربية فحزنت طول حياتها ولم ينقطع سيرانو من زيارتها كل أسبوع عند ساعات الحزن، ثم قتله كائده، وفي مرضه الشديد حيث علمت منه قبل وفاته أنه صاحب المناجاة الشريفة وأحبها حبا وأحبته ولكن سيرانو قد مات الآن. انتهت الرواية.

٧- ماجدولين (تحت ظلال الزيزفون) [١٩]

١٩- نفس المرجع، ص XXIX

وهذا الكتاب قصة Al phonese Karr (لأنفوس كار)، الكاتب الفرنسي تحت عنوان Saus Les Tilleuse (أو باللغة العربية تحت ظلال الزيزفون وهو قصة المأساة الغرامية الخالدة، وقد عربها الأستاذ عمر عبد العزيز على نفس العنوان، ولكن ترجمة المنفلوطي ماجدولين ترجمت إلى اللغة الإندونيسية بعنوان Dibawah Naungan Pohon Tilia أو Maghdalena لعبد الله سالم العطاس. وهذا الكتاب يحتوى ٢٢٨ صفحة.

بهذا نعلم أن مصطفى لطفي المنفلوطي قد ابتكر في الأدب العربي و خلده في تأليفه الكثيرة منها: النظرات و العبرات و مختارات المنفلوطي، واربع مترجمات وهي في سبيل التاج و الشاعر و الفضيلة و ماجدولين.

وجميع كتابه إلا مختارات المنفلوطي يقص عن بؤس البؤساء و حزن المحزنين بسبب الفقر الذي يحب المرأى و أمنيته. و من هنا بدأ سليا إصلاح المنفلوطي على المجتمع أن لا يكون الحجاب بين الأغنياء و الفقراء و السعداء و البؤساء في حياتهم الاجتماعية.